# رؤية جديدة في المفهوم الإسلامي للفن وجمال
# دراسة جمالية من منظور إسلامي مقارن بالفن الغربي

**الدكتور عبد الرازق السمان**
**قسم التصوير**
**كلية الفنون الجميلة**
**جامعة دمشق**

**الملخص**

قليلة هي الدراسات الجمالية من منظور إسلامي والبحث يتعرض لرؤية معرفية منتقاة تتجاوز كل ما هو تقليدي سائد ولا يقتصر على معيار الحلال والحرام، وإنما يبحث في الأصول والعلل، ويقدم تصنيفاً جديداً لفكرة الفنون وتعريفاً مغايراً لمفهوم الفن ورسالته، وتحديد الرؤية المنتقاة في الفرق بين الكمون الفكري والروحي للفن الإسلامي والفن الغربي.

إن هذا البحث يفصِّل بوضوح الخصائص البنائية للفن الإسلامي من نواحيها الحياتية والتركيبية والعبادة وهذا ما أدى إلى وجود بلاغة تشكلية في روائع الفن الإسلامي بأسلوبها التجريدي الذي يعبر عن قيم روحية لا حد لها، فالتجريد هو القاعدة الأساسية التي قامت عليها الخصائص البنائية للفن الإسلامي، وذلك بسبب فطرة الروح والعقل إلى التوحيد، والذي فطر الله الناس عليها.

ويبين البحث أن هناك صفات إسلامية للفن والجمال لها إمكانياتها الزمانية والمكانية والفعلية والفاعلية والبنائية زيادة عن كون الفن والجمال تعبيرين جميلين عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام لهذا الوجود.

ويناقش البحث أسئلة قديمة من زوايا جديدة، ويزاوج بين مفاهيم الفن والحياة والثقافة والإنسان، ويبحث في موقف الدين من خلال مفهوم الجمال، ويعرض نماذج تحليلية لمفاهيم الفن والجمال شرقاً وغرباً.

فهو دراسة تتناول رؤية معرفية منتقاة.

## المقدمة:

إن التفاعل الإيجابي بين الحضارات بثماره المتنوعة قد استمر على مر التاريخ الإنساني رغم العقبات الناجمة عما نشب من تعصب ومنازعات وما اندلع من حروب.

كما أن تيسير الحوار بين الثقافات الإنسانية وتشجيعه تأكيد على الاحترام العالمي لحقوق الإنسان وإنتاجه الحضاري المنوع، وإن استعراض حضارة ما من الحضارات، وتقديمها بشكل أمين، بمفهومها الفكري والاعتقادي، وما تعنيه من فلسفة خاصة بها لهو حق من حقوقها المصونة، يجب أن يقدم بموضوعية وصدق، ولا يحق لأي شخص كاتب أو ناقد أو مؤرخ أن يقيّم الحضارات الإنسانية الأخرى من وجهة نظره واعتقاده، فلابد أن يحترم وجهة النظر الأخرى.

وإن استعراض جميع الحضارات وإعادة دراستها من جديد لهو أمر حيوي، يستدعيه التطور الفكري والفني للإنسانية.

ومن هنا فإن قراءة جديدة لمفهوم الفن الإسلامي وفلسفته من وجهة نظر إسلامية حقيقية، أمر ضروري وواجب قومي وإنساني، وذلك لإظهار القيم الإنسانية التي غفل عنها كثير من الكتاب والنقاد الفنيين.

## تعريف الفن الإسلامي والفن الغربي:

كتب الفن كثيرة، وما كتب عن الفن الإسلامي غزير، لكن الدراسات الجمالية من منظور إسلامي ورؤى معرفية تتسم بهذه السمة قليلة في هذا المضمار.

كذلك فإن هذا الموضوع بمحتواه، كما هو متداول حتى الآن، لم يكن مطروحاً بصورته الموضوعية الصادقة، خاصة وأن الباحثين الإسلاميين في هذا الموضوع هم قلة، وأكثر الذين كتبوا عن الفن والجمال، إنما كانت كتاباتهم ترجمة لكتب اقتصرت على مفاهيم فردية شرقية أو غربية، أو كانت للدفاع عن هذا الفن المظلوم الذي لاقى ويلاقي عنتاً في الغرب، أو كانت لإيضاح تفوق هذا الفن السامي الجليل ووصفه بالصفات الجميلة التي تمنح له في إفراط وإطناب معهود، وقد يحدد بعضهم خواص هذه الصفات أو مميزاتها بتعابير عامة تتميز بالتراكيب اللفظية المائعة غير المحددة التي تصلح لكل زمان ومكان، مما يتنافى وحال الدارسين والدراسة العلمية أصولاً.

يؤكد علماء الجمال أنَّ كل تقدم إبداعي يساهم بدور إيجابي في التطور العقلي للإنسان المعاصر وفي إثراء عالمه الجمالي لابد له من العودة إلى تراثه الحضاري والفني والفكري، ذلك لأن نظام الأفكار وتطور المشاعر والآراء لا يمكن أن يتولد إلا بالتأثير المباشر للأعمال الفنية القديمة والتراث الحضاري الواسع لهذا الإنسان.

لذلك فموروث الفن التشكيلي هو بمنزلة نافذة نطل من خلالها على الأعمال

الفنية المستحدثة، فالماضي يثير الحاضر، واستحضار التجربة الطويلة يجعل الرؤية المستحدثة امتداداً لهذه التجربة، فنتذوقها ونعطيها كامتداد للتراث بصورة جديدة.[1]

والسؤال الذي يطرح نفسه حين نتكلم عن رؤية معرفية جديدة للفن الإسلامي، ما الفن الإسلامي؟

إن هذا السؤال البديهي لم يره بعضهم سؤالاً بديهياً إطلاقاً وإنما رأوا أنه بديهية بحد ذاتها، مسلمة لا تقبل النقاش.

الفن لغة كما يخبرنا القاموس المحيط للفيروز بادي هو الحال والضرب من الشيء وجمعه أفنان وفنون، وهو أيضاً الطرد والغبن والمطل والعناء والتزيين، وأفتن أخذ في فنون من القول.. الخ.

أي أن الفن هنا هو الصنف أو الزينة من كل شيء، بل أنت تقول فنن الناس جعلهم فنوناً أي صنفهم[2].

هذا المعنى العام يجعل المعنى الذي تعارف الناس عليه معنى اصطلاحياً اشتق من أحد المعاني وهو التزين فصار الفن هو ذلك المصنف الجميل الذي نصنفه بوصفه عملاً مزيناً يتمتع بصفات الجمال والحسن والزخرفة.

من هذا المنحى سنجد أنَّ كلمة **Art** الإنكليزية والفرنسية كذلك تؤدي المعنى العام الاصطلاحي نفسه حيث إنَّ **Art** كما في قاموس وبستر[3] تعني الصنعة ومنها اشتق الاسم **Artisan** أي حرفي أو صانع و **Artist** أي فنان وصانع كذلك.

الفن إذن هو اسم عام يطلق على كل شيء في الحياة، فيه صنعة وحرفة وزينة تفنن، وتتفق معنا في هذا التعريف وهذه الرؤية الدكتورة لمياء الفاروقي، التي ترى أن إشكالية الفن المتحفي هي إشكالية غربية في الأساس، وأن الثقافة الإسلامية لا تفرق بين الفنون الجميلة المتحفية والفنون الحرفية[4]

**مفهوم الفن المتحفي والفن الحرفي:**

وفي هذه التفرقة يكمن انفصال عميق وهوة معرفية سحيقة.

لو تقصينا أصل المشتقات **ARTIST-ARTISAN** سنجد أن كلمة **ARTISAN** سابقة في الوجود على كلمة **ARTIST**– حيث إنَّ الأصل في معنى **ART** هو ذلك

---

(1) د. محمود بسيوني ـ رحلة الإبداع ـ القاهرة ـ دار المعارف 1990 ص 177

(2) الفيروز بادي ـ القاموس المحيط ج4 ـ ط2 ـ سنة 1992.

(3) WEBSTER - DICTIONARY ART-

(4) لويز لمياء الفاروقي ـ الفن الإسلامي أم الفن المسلم.

الفن الذي يصنعه الجميع، الفن الحياتي المتاح للجميع وغير المعزول عن أي كائن. ومن ثم فصانع الفن حسب هذا المفهوم والذي يعمل على نفع الناس وتقديم عمل مفيد لهم أسبق من ذلك الذي يصنع فناً خاصاً يقدم لمكان العزل أو المتحف.

الأساس في المتحفية هو التصنيف ثم العزل، والتصنيف هو أساس من الأسس المعرفية للحضارة الغربية، وثمَّة نوعان من العزل:

عزل الآخر المكروه عن الأنا المحبوب، وهذا العزل يتبدى في المشافي والسجن، ويتجلى في التصنيف البشري كأمم راقية وأخرى بربرية همجية ، والنوع الآخر هو عزل الجميل المحبوب الأنا عن الآخر المكروه البغيض، وهو الذي يبدو جلياً في المتحف وفلسفة الحدائق الخاصة بالقصور.

فالمتحف هو سجن الجمال، الذي يقصد به إبعاده عن الآخر، الذي لا يقدره، فالتحفة الفنية أياً كان مصدرها تعد شيئاً خاصاً، يجب ألا يقع داخل دائرة الآخر الذي لا يقدره ولا يفهمه[1].

وإذا كنا نتكلم عن الرؤية في عزل المعرفة، وعن إسلامية المعرفة، فلا بد قبل كل شيء أن ننظر في تلك الرؤية ونفحصها قبل أن نحاول البناء عليها دون فحص ولا تمحيص فنكون كمن يبني على غير أساس وينطلق دون تدبر.

لقد أقام الغرب حضارته على أساس عزل المعرفة، رغم وجود جميع الرؤى المغايرة التي تدمج الآخر وتقبله وتقبل اختلافه معها، ونفي هذه الرؤى هو أساس رؤية العزل الغربية[2]

---

[1]FOUCAULT.M- NAISSANCE DE LA CLINIQUE. P.U.F-1963
[2]CHOMSKY-1993-THE YEAR 501 SOUTH-END PRESS BOSTON

وكان من الطبيعي أن يبحث مفكرو عصر النهضة عن أصولهم الفكرية والمعرفية في الرؤية الإغريقية، وهكذا تَمَّت استعادة المفاهيم الجمالية الخاصة بتلك الحقبة، وصار من الضروري الكلام عن التواصل الكلاسيكي النهضوي واستمرارية الرؤية الإغريقية والرومانية، لأنها تمثل التأسيس المعرفي الذي قامت عليه الحضارة[1].

العودة للأصل إذن كانت هي أساس النهضة الأوربية، فهي عودة معرفية لا نقلية، اتصال نقدي بعد إنقطاع، لا مجرد وصل آلي نقلي.

[1] أسامة القفاش ـ مفاهيم الجمال ـ المعهد العالي للفكر الإسلامي ـ القاهرة 1996 ص 9

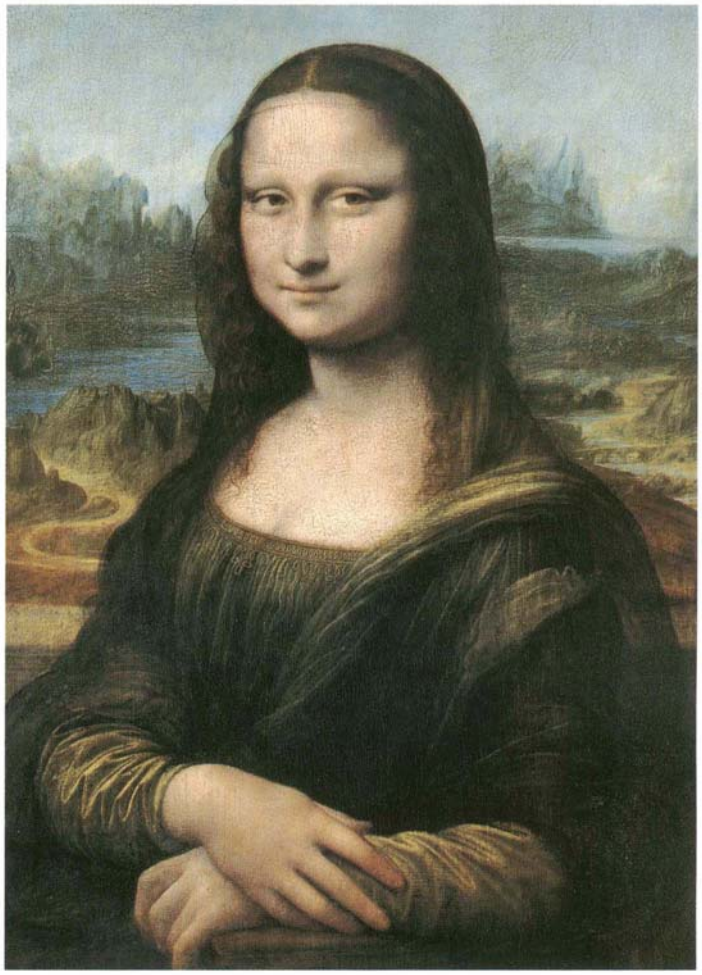

الجوكندا ـ للفنان ليوناردو دافنشي ـ 1480 ـ 1524م متحف اللوفر ـ باريس[1]

إن أول ما يستدعي انتباهنا في الدور الحياتي الذي يؤديه الفن في الإسلام، أن الفن من أجل الحياة لا من اجل المتحف والعزل، بمعنى أن الفنان كان في

[1] مجلة أثر الفن ـ الفرنسية ـ عدد 328 ـ 1998م

الأساس صاحب مهنة يؤدي وظيفة اجتماعية من خلال إتقانه لحرفته وأدائه لعمله على الوجه الأكمل[1].

فالنحاس والنقاش والبناء والنجار كلهم أصحاب حرف، وهم فنانون يعملون من أجل الحياة لا من أجل المتحف والعزل.

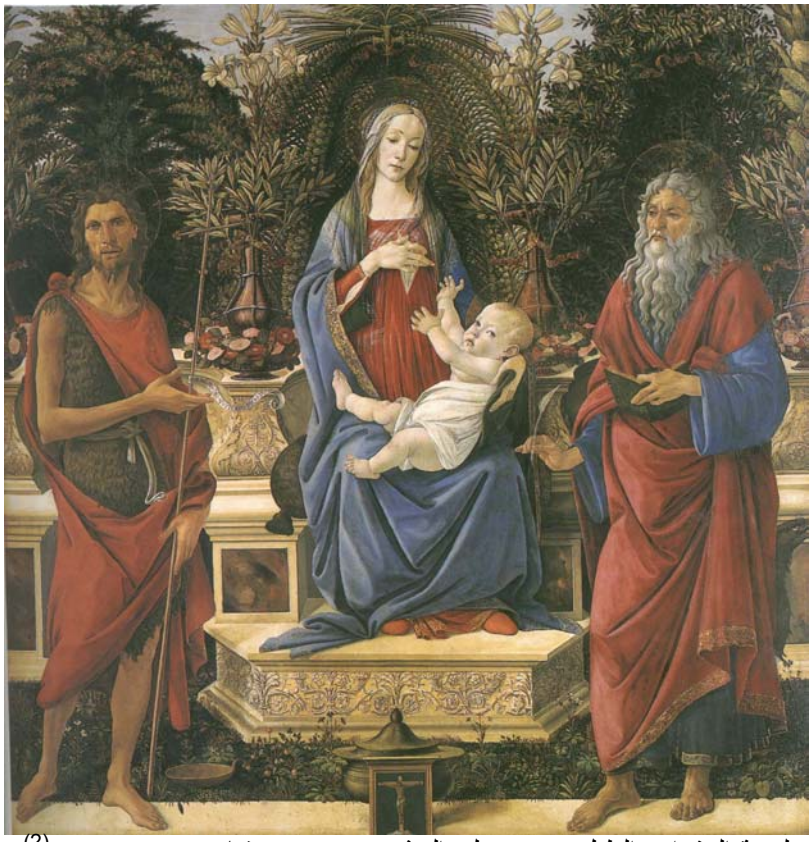

لوحة العذراء والطفل ـ زيتي على الخشب ـ 1485م ـ قياس 180×185سم[2]
الفنان بوتتشلي الايطالي

[1] أسامة القفاش ـ مفاهيم الجمال ـ المعهد العالي للفكر الإسلامي ـ القاهرة 1996. ص 10

[2] ـ مجلة أثر الفن ـ الفرنسية ـ عدد 328- 1998م ـ

الفن هنا كاللغة إبداع يومي حياتي على حد تعبير تشومسكي في كتابة اللغة والعقل، إبداع متاح للجيمع بل مفروض على الجميع، وفي الإتاحة والفرض يكمن الفرق وتكمن القطيعة أو العزل[1]

الإتاحة تجعل بوسع كل فرد أن يصير فناناً في مجاله، وتلك هي الخاصية اللغوية الأولى في رأي تشومسكي، الإتاحة هي قدرة ذاتية من مميزات الجنس البشري[2] فالإبداع والإتقان ومن ثم الفن كجزء من الحياة متاح للجميع، فالفنان هنا هو الصانع هو الحرفي هو كل فرد يتقن عمله يؤديه بشكل حسن، فهو الفرض التي يتأتى من فكرة الإتقان في العماء الحض عليه والدعوة له. وفي الحديث الشريف **« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »** فالجمال صفة من صفات الخالق سبحانه وتعالى، وعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله جميل يحب الجمال[3]» ويقول تعالى "وأحسن كما أحسن الله إليك"[4]

وفي المقابل تلك الفكرة النهضوية التي تعمقت مع الرومانسية التنويرية.

التي ترى الفنان مختلفاً ملهماً مبدعاً خالقاً، فكرة حلولية تحاول جاهدةً أن تجعل البشري إلهياً من خلال حلول الإله داخل الإنسان الفائق.

التعارض بين الفنان الصانع والفنان الخالق ينبثق من التعارض بين الفن الحياتي المتاح والفن المتحفي المعزول، ويكمن الفرق بين رؤية معرفية عزلية تعمل على نفي الآخر وقهره واستلابه، وأخرى اتساعية قبولية تتيح للاختلاف أن يترعرع وينمو ويتدافع الناس لإعمار الأرض، ولكل رؤية ثمة نموذج أولي يحدد طبيعة الفن الذي تنتجه.

---

[1] CHOMSKY-1993-THE YEAR 50L.SOUTH-END PRESS BOSTON

[2] صحيح البخاري.

[3] صحيح البخاري

[4] سورة القصص ـ آية 77

أنتلانتا بين الملائكة، عمل جداري الفنان أوكوستين كراتشي موجود بباليه قصر ماغناني بولون 1589-1590

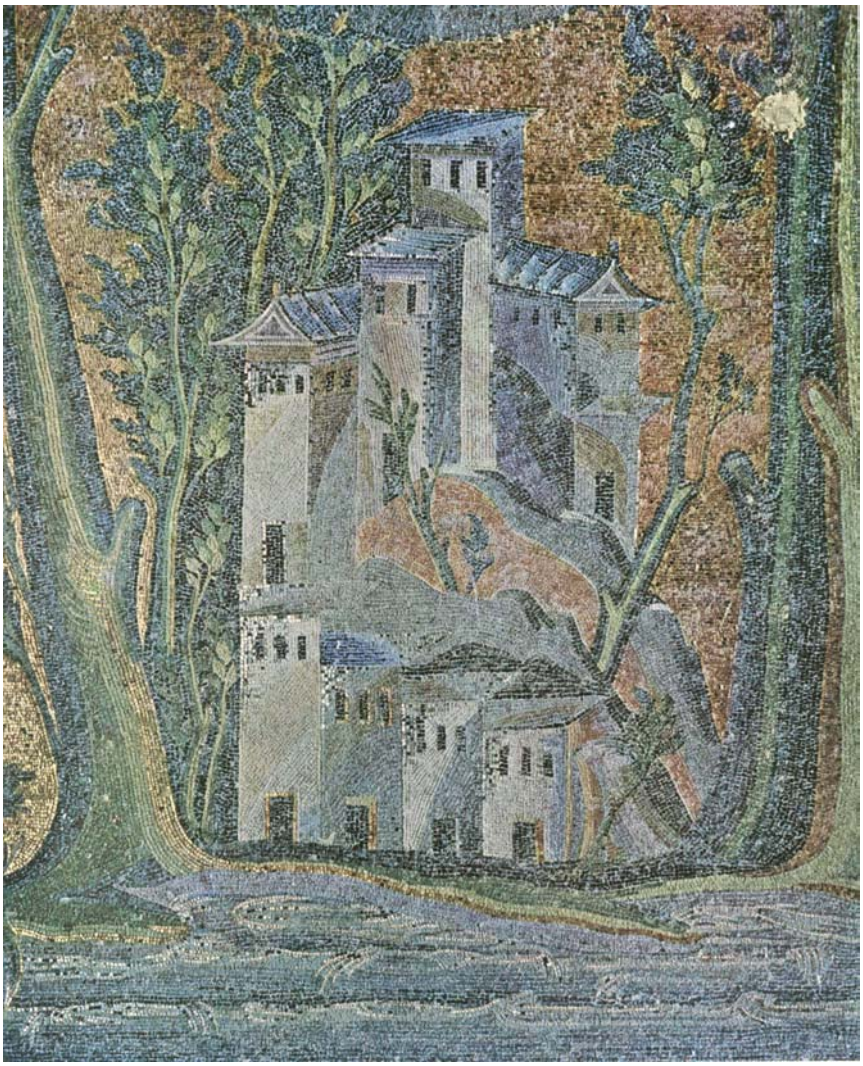

مقطع من منظر موزاييك على الحائط الغربي لجامع الأموي ـ بناء الوليد بن عبد الملك[1] دمشق 715 م

إن الفن في الرؤية المعرفية الغربية لم يكن محاكاة للطبيعة بل كان في الأساس

[1] التصوير العربي ـ ريتشارد إتينكهوسن ـ مجموعة الكنوز الآسيوية ، سكيرا ـ 1977.

محاكاة للإله في محاولة لإعادة خلق الطبيعة، كان تعبيراً عن رؤية الإنسان كسيد للكون، بلا منازع، ومن ثم فمن حقه أن يفعل ما يشاء بما يشاء وبمن شاء. إن التماثيل الإغريقية والرومانية لا تمثل بشراً، بل ما يجب أن يكون عليه البشر. إنها مثالية **IDEAL** بينما البشر مختلفون متنوعون، وكل فرد فذ حتى في صفاته التشريحية، كما تخبرنا لين باير في كتابها (الطب والثقافة)[1].

الفارس والقديس ـ الفنان جان فوكيت ـ 1450 ـ متحف اللوفر ـ باريس

النموذج الأولي للرؤية الأخرى أي الرؤية الاتساعية هو الإنسان، والنسق الفني أصله الإنسان وهدفه الإنسان ومحوره الإنسان، النموذج الذي ينطلق منه ويعود إليه هو الكائن البشري سيد الكائنات خليفة الله في أرضه، ومن ثم تحاول تلك الرؤية إسعاد الإنسان، كل إنسان، وإمتاعه وإعطاءة قيمة عليا مجاورة في كل عمل يستخدمه ويعايشه.

---

(1) L- PAYER MEDICINE ET CULTURE-HENRY HOTT & COMPANY NEW YORK

هذا الإنتاج الفني الذي يتمظهر في كل الأشياء الحياتية، ويتجلى في كل الممارسات الإنسانية، هو ما يميز الرؤية المعرفية الإسلامية[1].

ومن ثم لنا أن ندخل في تحليل الجزء الأخير من السؤال البديهي وهو صفة "الإسلامي فما "الإسلامية" التي يمكنها أن تحدد المنعوت وهو الفن وتميزه فتجعله نسقاً قائماً بذاته منفصلاً متميزاً عن غيره؟.

## الصفات الإسلامية للفن

السؤال عن الماهية التي تكمن في الصفة يقودنا إلى تساؤلات شتى حول تاريخية ذلك النعت ومكانيته، ناهيك عن الفعلية والفاعلية وبعدئذ خواص البنائية المغايرة التي تجعل نعتاً في ذاته يستحق أن يضفي على غيره صفات خاصة، باختصار هي تساؤلات عما يجعل الإسلامي إسلامياً.

إزاء هذا الأمر، فإن التعاريف للفن الإسلامي قليلة جداً، وخاصة من قبل علماء المسلمين، ويعد ما ذهب إليه الأستاذ محمد قطب من أهم ما قيل في هذا الصدد، وقد جاء في كتابه ""منهج الفن الإسلامي"" والذي يعد من أهم ما كتب في هذا الموضوع:

"والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام.. إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود[2].

هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.

الفن في أشكاله المختلفة هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود، أو من تصورهم لحقائق الوجود في صورة جميلة مؤثرة[3]

ويحاول الأستاذ محمد شمس الدين صدقي أن يعرفنا بالفن الإسلامي من خلال الحديث عن وظيفة هذا الفن فيقول "يجب أن يكون نقل أو إيصال أسمى القيم والأفكار والمشاعر وأفضلها إلى الآخرين بأسلوب جميل مؤثر، بحيث يوفر عنصر المتعة إضافة إلى التأثير في سلوكهم وإرشادهم إلى الطريق المستقيم[4].

---

(1) أسامة القفاش ـ مفاهيم الجمال ـ المعهد العالي للفكر الإسلامي القاهر 1996 ص 9.

(2) الأستاذ محمد قطب ـ كتاب منهج الفن الإسلامي ـ مطبعة دار الشروق ص 177.

(3) المصدر السابق ص 15.

(4)"كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية" لأنور الجندي،( عن كتاب الفن الإسلامي ـ صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق ص36).

مشهد من مقامات الحريري ــ الفرسان قبل المسير ــ للفنان يحيى الواسطي ــ قياس
٢٦×٢٤,٣ سم بغداد ــ العراق ــ ١٢٣٧م.

ويرجع د. عفيف بهنسي أهمية الحضارة الإسلامية إلى عقيدتها فيقول " وإذا كان لا بد من الحديث عن حضارة واحدة انتشرت موحدة متنوعة في ديار الإسلام، فإن ما يسمى بالفنون الإسلامية هو هذه الصيغة الحضارية الإبداعية التي تنتسب إلى تلك العقيدة الواضحة فكراً وتطبيقاً، والتي تجلت مكتوبة أو ممارسة، واستمرت متنامية دون أن تخرج عن أساسها العقائدي وفلسفتها الواسعة التي لم تصل فلسفة أخرى إلى حدود اتساعها وانتشارها

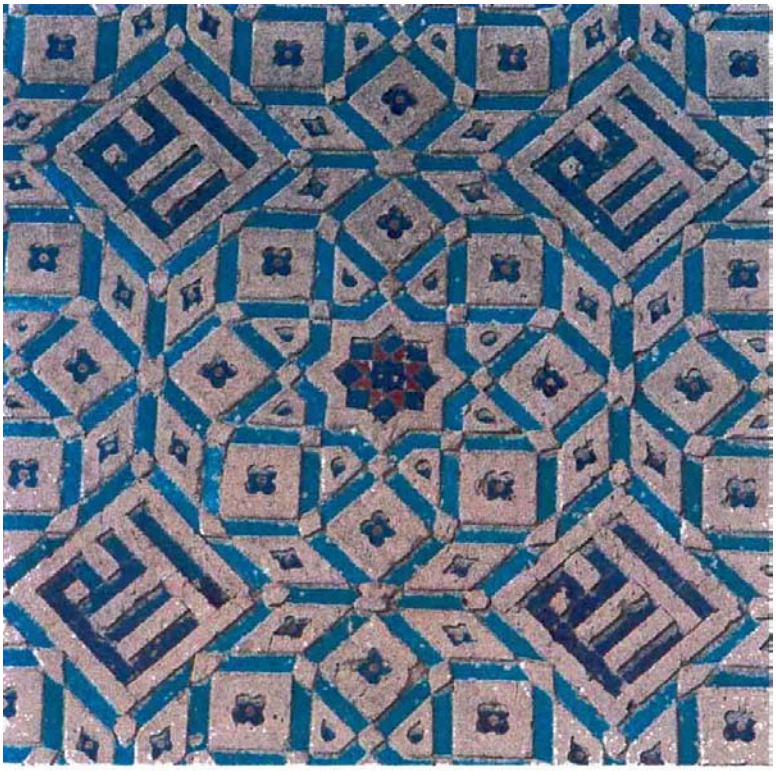

منطقة كرجير - إيران 1445م - تزيين جدار مدرسة بالرقش الهندسي والخط الكوفي - ويظهر فيه اسلوب التوشيح العربي - ويعني التوشيح تكرار عنصرين زخرفيين أو أكثر متشابكين تشابكاً هندسياً، متماثلاً أو منتظماً، تتباين فيها الحركة تبايناً توقيعاً.

لذلك فإن نسبة هذه الفنون إلى تلك العقيدة، قد أعطاها طابعاً ثابتاً واضح الشخصية وجعلها موحدة باستمرار وتتجلى هذه الوحدة في الشكل والمضمون مهما تباعدت المسافات ومهما تتالت الأحقاب[1].

ويعرف الأستاذ أنور الرفاعي الفن الإسلامي، بأنه ذو شخصية واحدة رغم تعدد مراكزه وتباعد أقطاره وظهور التأثيرات المحلية فيه.. [2]

ويقول الأستاذ صالح أحمد الشامي إن ساحة الجمال هي الوجود كله وإن

[1] الفن الإسلامي - د. عفيف بمهنسي - دار طلاس - 1986 المقدمة ص 7.
[2] تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، أنور الرفاعي – دار الفكر –1973 ص. 10.
[3] الفن الإسلامي - صالح أحمد الشامي - دار القلم دمشق 1990 ص 41.

الإسلام أوصل الجمال إلى مجالات لم تعرفه من قبل، ونؤكد هنا أن ساحة الجمال نفسها هي ساحة الفن، وهي مساحة لا تضيقها الحدود ولا تحصرها الحواجز، ذلك أنها ساحة منهج التصور الإسلامي. (1)

والحقيقة: أنه ليس من السهل إيجاد أو صياغة تعريف للفن الإسلامي، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة العناصر التي ينبغي مراعاتها عند تلك الصياغة.

لذلك تأتي هنا جملة من التساؤلات تباعاً، هل الإسلامية صفة تاريخية أي تنسحب على فترة تاريخية معينة، وإن كانت كذلك فما تلك الفترة؟ أهي فترة ذروة الحضارة الإسلامية إبداعياً، أم هي فترة الفتوحات الواسعة أم هي بعد ذلك؟

أم هل الإسلامية صفة مكانية ومن ثم ترتبط بمكان معين أو حاضرة بعينها؟

وهذا السؤال عن المكانية مثله مثل السؤال عن الزمانية يطرح إشكالية التعددية والتنوع داخل النسق كما سنرى.

أم أن الإسلامية هي صفة مرتبطة بالفعلية، بمعنى أن ثمة فعلاً يمكن أن يقترن بهذه الصفة، وفعلاً آخر لا يمكن أن يقترن بها ولإضافة هذا النعت له.

أم ترى الإسلامية صفة تتبع من الفاعلية، أي أنه كلما كان الفاعل مسلماً كان الفعل إسلامياً والمنتوج إسلامياً بغض النظر عن صفاته البنائية وخصائصه المميزة؟

كل هذه التساؤلات قديمة قدم الصفة ذاتها وقدم خاصية التفكر.

والنظر والاجتهادات في هذا الصدد كثيرة، وكل الإجابات مقبولة وصحيحة. وهذا التنوع في الإجابة لا يدل على غموض وإنما على ثراء وتكثيف الصفة في ذاتها بحيث يمكننا أن نتكلم عن إمكانياتها المكانية والزمانية والفعلية والفاعلية والبنائية في آنٍ واحدٍ.

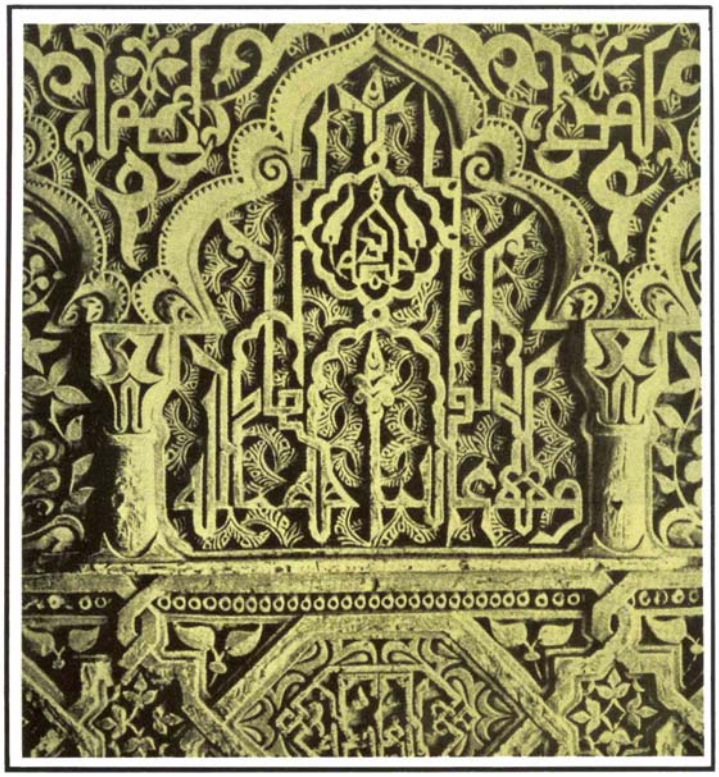

جانب من مدخل قصر الحمراء في مدينة غرناطة يزدان بالنقوش الإسلامية.
كتابة زخرفية متشابكة بخط كوفي ضمن شكل القبة، نصها : ( ولا غالب إلاَّ الله ) ،
على أرضية زُيِّنت بالوريقات . وقد كان اللقاء كاملاً في هذه اللوحة بين الخط والزخرفة
بحيث لا يظهر وجود الخط للوهلة الأولى

### الصفة الزمانية

وكمثال على الزمانية سنجد أن معظم من تكلم عن الفن إنما اختاروا الكلام عن حقبة الحضارة الإسلامية في ازدهارها الإبداعي، وضربوا الأمثلة من بقاع متفرقة من سمرقند في الشرق وقرطبة في الغرب، ومن أشبيلية، في الشمال وتمبوكتو في الجنوب مروراً بالقاهرة وتبريز وأصفهان وخراسان ورشيد وبانيا لوقا واستنبول وغيرها.

بمعنى أن النقاد الذين اختاروا الزمانية كمحدد رأوا في المكانية والتعددية صفة ثانوية تؤكد خصوصية النسق الذي بنوه.

### الصفة المكانية

بينما نجد أن من تعصب للمكانية فتكلم عن الأندلسي والمصري والمغربي والتركي والفارسي بل والسمرقندي وغير ذلك من صفات مكانية، قد شد عينه وجذب انتباهه التنوع والخصوصية الكامنة في كل مكان، فحولت انتباهه عن العناصر العمومية، الممتدة عبر المكان وعبر الزمان.

### الصفة الفعلية

ونجد أن الفعلية تتجلى بالخصوص في فن الخط العربي، حيث المنتج والفعل مرتبط بالإسلام أساساً من خلال ارتباطه باللغة وجماليات الحرف العربي كنسق وحرفة أرسيت دعائمها منذ أقدم العصور الإسلامية. وسنرى هنا ان الفعلية قد جاوزت المكان، فهنالك ابن مقلة وإنتاجه من بغداد، وهناك عبد الله هاشم وإنتاجه من استنبول، وجاوزت الزمان، فهنالك هلال العراقي العباسي، وهاشم محمد إبراهيم المصري المعاصر فهي صفة نبعت من المنتج والفعل في

ذاته

## الصفة الفاعلية

أما الفاعلية فهي صفة جديدة لم تكتسب مشروعية بعد، ولا أظنها تكتسبها، فالقول إن الفنان المسلم ينتج فناً إسلامياً هو قول أعرج، يفترض أن الإسلام ملة توضع في خانة من خانات بطاقات الهوية ومن ثم تنسحب منه صفات تضفي على إنتاج صاحب هذه البطاقة وفعله خصوصية ما، "بينما الإسلام عقيدة حياة ورؤية معرفية متكاملة ودين بالمعنى الشمولي للكلمة، حيث يتخلل كل جزئية من جزئيات من يعيش في كنفه، ومن ثم قد تكون ملة الصانع أو الحرفي غير الإسلام، ولكن نتاجه الحضاري الجمالي من فن وصنعة هو إسلامي بلا مراء"[1]

كذلك ثمة إشكالية أخرى تجعلنا لا نقبل الفاعلية كأساس تصنيفي، حيث إنَّ الفن في الرؤية الإسلامية المعرفية هو نتاج حياة، ومن ثم فالجميع متاح لهم كما أوضحنا أن يصيروا فنانين بل هو فرض على كل منتج أن يتقن عمله ومن ثم أن يخرج فناً كما أسلفنا.

من هنا تنتفي صفة الفنان ذلك المتفرد المبدع الذي لا يدانيه فرد ولا يماثله إنسان.

ومن ثَمَّ تفقد الفاعلية قوتها، وتتحول الفردية الذاتية إلى فردانية تنوعية تعددية، تتيح لكل ذات فاعلة أن تبدع في كل مجال تمارسه. صفة الإسلامية في رأينا صفة بنائية متجاوزة للزمان والمكان. وكما تستوعب أمة الإسلام المؤمن وغير

[1] الكاتب أسامة القفاش ـ كتاب مفاهيم الجمال ـ المعهد العالي للفكر الإسلامي 1996.

المـؤمن والمسـلم وأهـل الكتـاب وكـل مـن يقبـل بشـرع ودسـتور الأمـة، تسـتوعب الصـفة كـل مـن يقبـل المميـزات البنائيـة الكامنـة فيهـا، ويعيـد إنتاجهـا فـي أعمالـه، بحيث يصير المنتج علامة دالة على الصنعة ونموذجاً معرفياً لها.

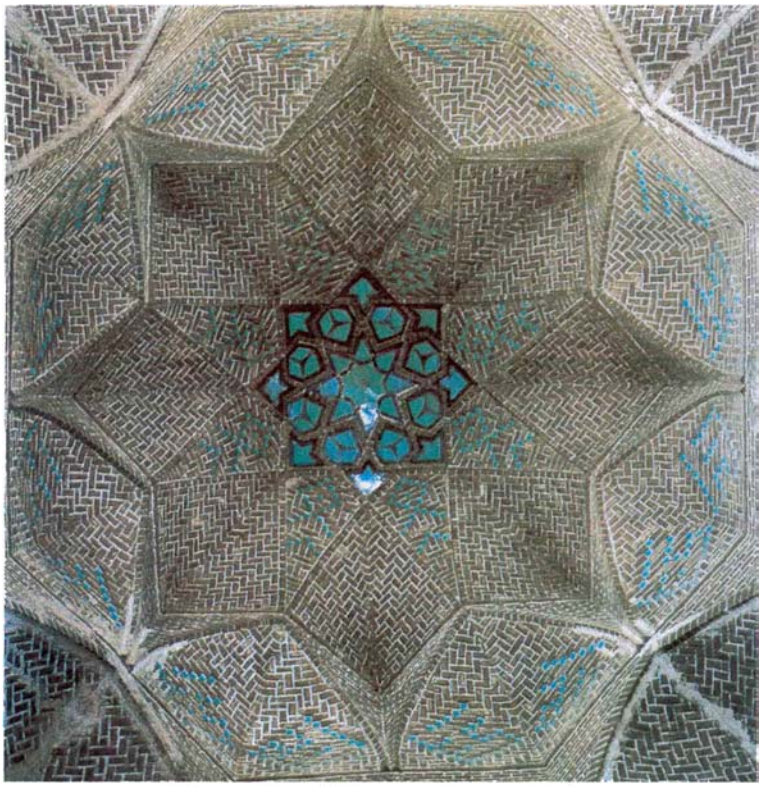

أصفهان ــ ايران ــ جامع بابا قاسم ١٣٤٠-١٣٤١ ٨

## 1ـالخصائص البنائية التي تميز صفة الإسلامية في رأينا هي:

**آــ الحياتيــة:** العمـل الفنـي الإسـلامي جـزء مـن الحيـاة، والإسـلام كعقيـدة يحـض علـى إتقـان العمـل كمـا أسـلفنا وكمـا يـرى علـي عـزت بيجـوفتش فـي كتـاب "

الإسلام بين الشرق والغرب"[1] إن الإنسان قد وجد إنسانيته وسره في العمل الفني، بمعنى آخر إن ذلك الفن الحياتى الذي نمارسه والذي يرتقي بسلوكنا من البسيط إلى المعقد ومن الطبيعي إلى الثقافي كما يقول ليفي شتراوس في موسوعته "أساطير" ذلك الفن هو ما يجعلنا بشراً ويؤنس مُقَلنا، ومن ثم كلما ازداد انخراط العمل الفني في حياتنا وصار جزءاً منها ازدادت درجته الإنسانية ومن ثَمَّ صار عملاً إسلامياً، حيث لا تفرقة بين العمل الفني الجمالي الذي يُزَيّن الجدران ويؤدي وظيفة جمالية نافعة، وبين العمل الزخرفي الجمالي في كأس يشرب فيها المرء أو في قلم يكتب به أو في طبق يأكل فيه أو في مشكاة تنير له.

ليس المقصود هنا هوأن العمل الفني لا بد أن يؤدي وظيفة، فما حددناه هو الحياتية وليس الوظيفية، المقصود بوضوح هو أن يكون العمل الفني جزءاً من الحياة لا مجرد قطعة معزولة بعيدة عن متناول البشر[2].

**ب - التركيبية:** يرى إدكار موران، عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي أن أواسط القرن العشرين هي نقطة مفصلية بالنسبة للعلوم حيث كانت كل العلوم تتأسس على التخصص والتجريد وتُبْنى على الحتمية وإنكار العوامل الجزافية، وتسعى إلى تطبيق المنطق الميكانيكي على حياة البشر.

ويرى أن الإنسان صار يحتاج لطريقة تعقيدية تفصل وتربط وتفكك وتبني: باختصار يحتاج لطريقة تركيبية[3]،هذه التركيبية التي يدعونا إليها خاصية أساسية بنائية في الإسلام، وتميز تلك الصفة أي (الإسلامية) التي نحاول هنا أن نحددها.

الإسلام يدعونا إلى التأمل والتفكير والتفكيك وتحليل العالم وإعادة تركيبه من

(1) على عزت بيجوفيتش ـ الإسلام بين المشرق والمغرب ـ مجلة النور الكويتية ـ 1994.
(2) مجلة رسالة اليونسكو ـ عدد فبراير 1996 ـ ادجار موران ـ طريقة سرحان ـ 225
(3) المرجع السابق

خلال ركنين أساسين: الفكر والفعل.

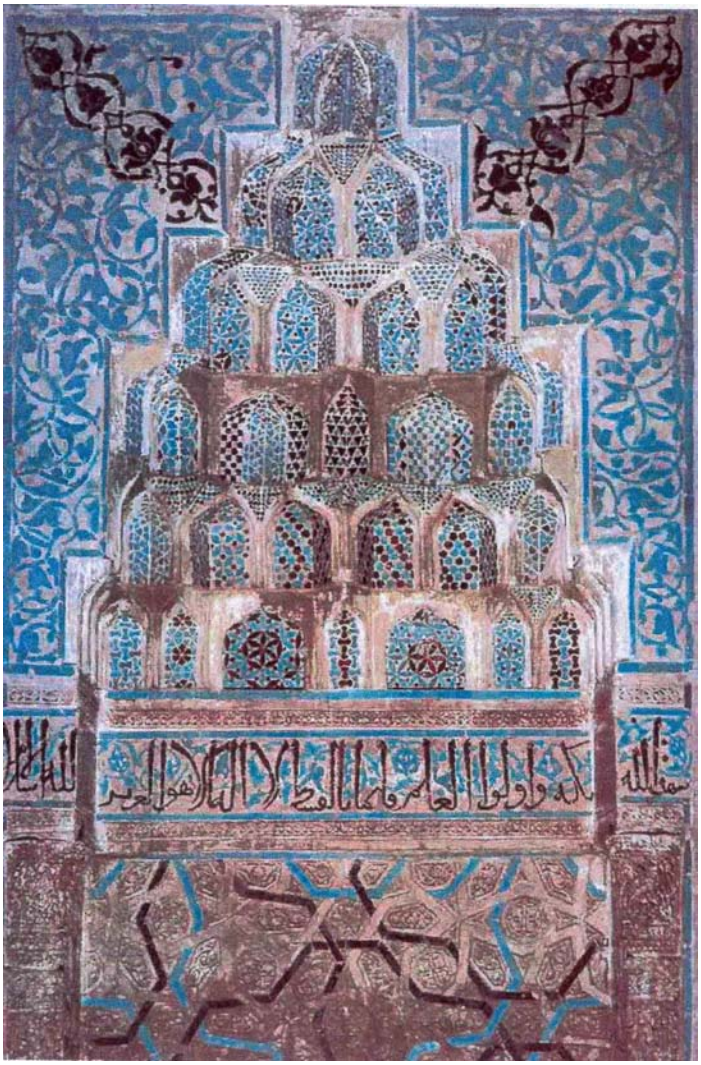

أنقرة ـ تركيا ـ محراب مسجد أرسلان خانة ـ عام 1289م ـ آية من آيات الفن الإسلامي فيها يتجلى الذوق الرفيع من حيث نماذج أنواع مختلفة من الفنون الإسلامية بأشكالها وتقاناتها، مثل المقرنصات الجصية "الرقش المجرد البناتي والهندسي والخط العربي، وبتقانة القيشاني والحجر الملون المسمى بالأبلق.

لقد ورد ذكر الفعل ومشتقاته في القرآن كما ذكر محمد فؤاد عبد الباقي في المعجم المفهرس 108 مرات[1]، والفعل دائماً عملية بنائية سواء كان فعلاً إلهياً أم فعلاً بشرياً بأمر إلهي، وسواء كان الفعل البشري محموداً أم مذموماً مرفوضاً.

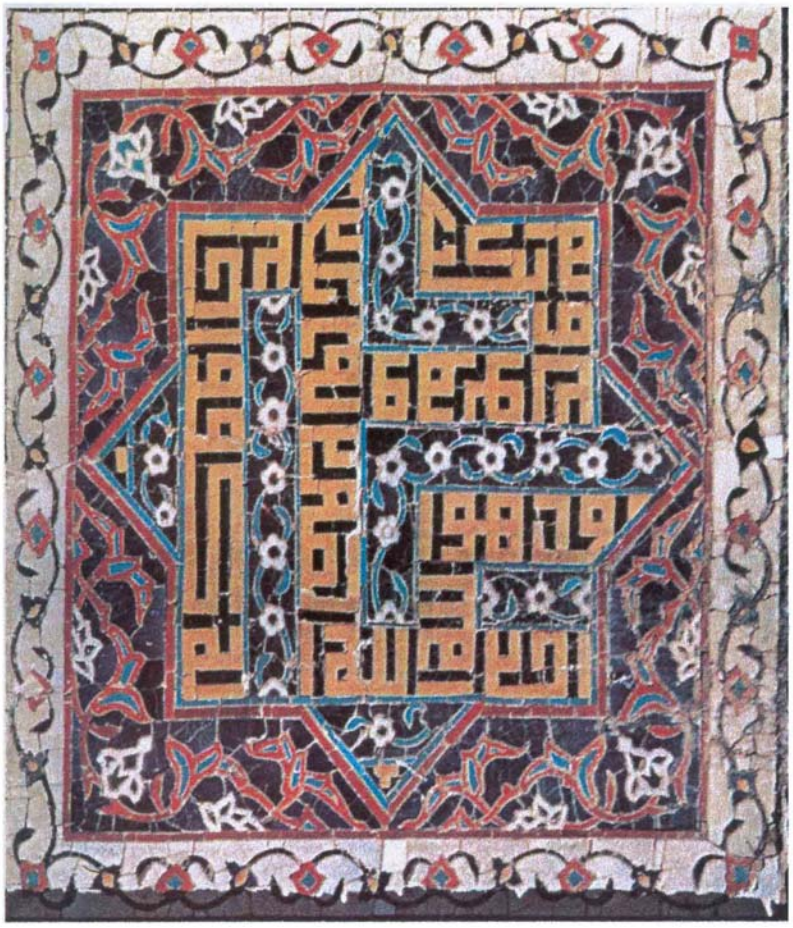

**سورة الإخلاص ـ لوحة جدارية بجامع جوار شاد ـ بمدنية مشهد ـ إيران، وهي عبارة عن وحدة زخرفية "لوحة فنية" غنية بالرسوم لأشكال مجردة هندسياً ونباتياً، وبتقانية القيشاني والحجر الملّون المسمى بالأبلق.**

[1] المعجم المفهرس ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الشعب 1378 هـ.

وورد ذكر الفكر 18 مرة [1] وهو عملية تفككية تحليلية مقصود بها التدبر والتأمل. والمراد أن العملية التركيبية التي تفصل وتربط وتفكك وتبني، هي من الخصائص الإسلامية الأساسية.

الكل دائماً في هذه العملية أكبر من المجموع البسيط لأجزائه، وسنجد أن الوحدة المكررة (أو الموتيفة) تؤدي دوراً كبيراً في هذه العملية سواء كانت وحدة مكررة بصرية كما في الزخرف الأرابيسك أم وحدة مكررة سمعية كما في الموسيقى والشعر، أم وحدة مكررة درامية كما في طريقه القاص الشعبي والحكواتي.

وكل هذه الوحدات المكررة يتركب منها شكل فريد يتجاوز في سموه الوحدة المنفردة التي ينبني منها.

ج ـ **العبادة**: لأن الدين رؤية حياتية شاملة كما أسلفنا.

ولأن إتقان الفعل وإعمال الفكر فريضة دينية دنيوية.

فالإسلامية تتجلى أساساً في شكل العبادة بمفهوم التقرب والتوسل إلى الله سبحانه وتعالى ابتغاء مرضاته ووصولاً إلى رحمته.

العمل الفني الحياتي التركيبي هو نوع من العبادة في الإسلام، ولذا نجد أن كثيراً من الفنون الموسومة بالإسلامية كقراءة القرآن وتجويده والخط العربي هي ضرب من ضروب العبادة وتكريس لعظمة الخالق وإجلاله.

فالفن في الإسلام تمجيد للجلال وتسبيح بالجمال أو كما تقول وفاء إبراهيم في كتابها ""فلسفة فن التصوير الإسلامي[2]""، هو انتقال من الجميل إلى الجليل، وهدفه هو الوصول والتوسل للخالق سبحانه من خلال تصوير الجمال وفي الحياة وفي الكون الذي هو إبداع الخالق أصلاً.

هذه الخصائص الثلاث تنبثق أساساً من مفهوم أساسي وركن ركين في العقيدة الإسلامية ألا وهو مفهوم التوحيد.

## التوحيد أساس التجريد:

فالتوحيد يعني العبادة، أي التسبيح بحمد الخالق والتوسل لجلاله وعظمته وطلب رحمته، ويعني التركيبية أي مسؤولية الإنسان عن فعله وعن فكره، ومن ثَمَّ قبوله للاستخلاف في الأرض وحمله للأمانة التي أشفقت منها الكائنات جميعاً، ويعني الحياتية أي الحب بكل ما في هذه الكلمة من معنى تتضمن النفع والجمال

[1] المرجع السابق 2.

[2] وفاء إبراهيم ـ فلسفة فن التصوير الإسلامي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996 ـ سلسلة التنوير.

والتواصل والإنسانية.

إن مميزات الصفة الإسلامية الحياتية والتركيبية والعبادة كلها تتبني على مفهوم واحد وحيد أوحد هو التوحيد، الذي ينبثق منه قيم ثلاث هي المسؤولية والرحمة والحب، وكل هذه تمثل البناء العام لصفة الإسلامية التي تتجلى في الموصوف وهي الفن،ومتى توفرت تلك المميزات وظهرت السمات انتقلت القيم الثلاث إلى الصانع والمنتفع، وأحسّا بها وفاضت نفساهما، وامتلأت روحاهما بالتوحيد كمفهوم أساسي،الذي يجسد انجذاب الإنسان نحو المطلق الإلهي، ويعبر عن هذا الشعور بطريقة فنية مميزة التي يصورها في زخارفه بأسلوبه التجريدي، فلكل شيء دلالته الروحية ومعناه العميق، وإن اللغة التجريدية لغة روحية تخاطب أرواحنا بطريقة مباشرة، وإن في تكرار الوحدات الفنية إيقاعاً يتميز بالانسجام والانتظام، من شأنه أن يتغلب على عامل الخوف، ويبعث السرور في النفس، وذلك بما يجسده من فكرة اللانهائي المتجاوز للمكان، وفكرة المطلق الذي تهفو إليه النفوس، وإن حرص الفنان الصانع على أن يملأه كله، له أيضاً دلالته الروحية، وقد تغلب على المكان والمادة بجعل مكانه حركة ديناميكية تخاطب الروح يقول ميشيل سوفور:"إن الفنان التجريدي يسعى وراء الكلي في الخاص، وإيجاد الجمال لا يختلف عن اكتشاف الكلي وهذا الكلي هو الله، والتعرف على الإله في أي عمل فني هو الشعور بانفعال بديعي".[1]

وفي دراسة للأستاذ الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي بعنوان "التوحيد والفن نجد عرضاً نقدياً تاريخياً تحليلياً معرفياً لرؤية الدكتور الفاروقي لماهية الفن انطلاقاً من مفهوم التوحيد كأساس، ينتقل بنا الدكتور الفاروقي عبر الحضارات المختلفة عارضاً لنا الرؤى المعرفية الكامنة خلف كل منتج حضاري معين، ويؤكد على العلاقة الجدلية بين الفن والحياة، ودور الفن كحافز جمالي على العبادة وماهية الفن كعمل مركب وتركيب ثقافي ونتاج حضاري ومعقد.[2]

---

[1] جمالية الفن العربي ـ د. عفيف بهنسي ص ـ 105 ـ عالم المعرفة ـ الكويت عام 1399 هـ.

[2] التوحيد والفن ـ د إسماعيل راجي الفاروقي (عن الكتاب مفاهيم الجمال ، أسامة القفاش المعهد العالي للفكر الإسلامي 1986 القاهرة. ص 18

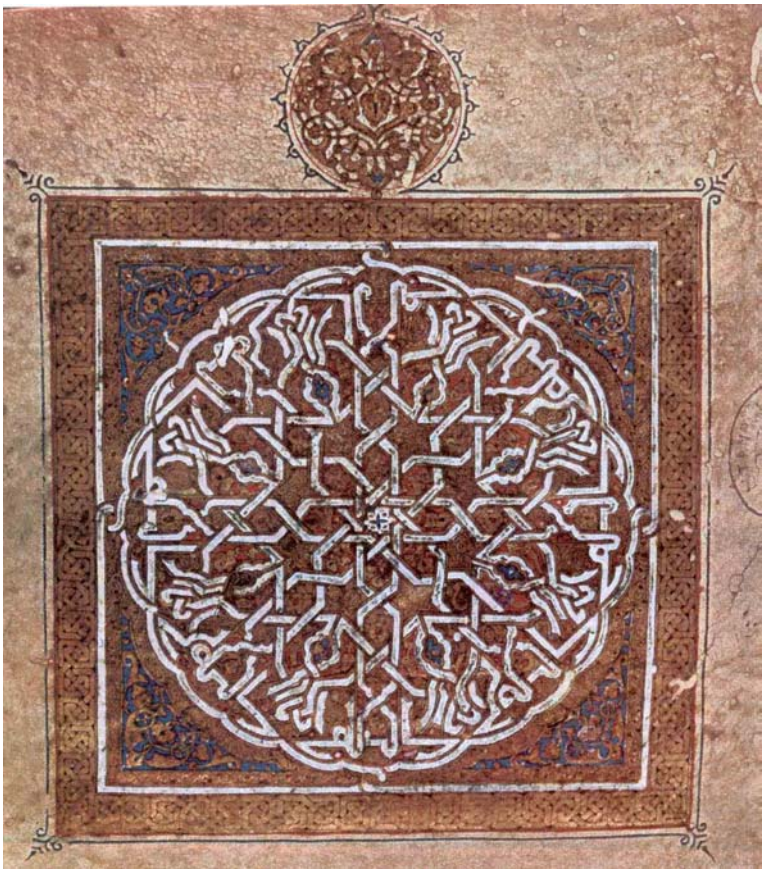

الصفحة الأولى للقرآن ـ فالانسيا ـ اسبانيا ـ 1182م موجودة حالياً في المكتبة العالمية استنبول

حيث العمل الفني عمل إنساني وما يفرق بين الإنسان والحيوان هو قدرة الأول على عمل الفن كفعل وتذوقه الفني الهام، ثم عمل مسؤول، ومن ثم فثمة ضرورة حتمية للربط بين الفكر والفعل والمسؤولية[1]

أما الأستاذ الشيخ صالح أحمد الشامي فيميز الفن الإسلامي بخصوصية مميزة عن جميع الفنون فيقول :" يقوم هذا الفن على أساس من عقيدة التوحيد، وعلى تصور شامل للإنسان والكون والحياة، ولذا فلا مجال فيه للباطل من وثنيات

[1] تعريف الفن عند التوحيد ـ د. عفيف بهنسي

وخرافات وأوهام وأساطير[1].

ويقول " غوستاف لوبون" «إنه يكفي نظرة على أثر يعود إلى الحضارة الإسلامية كقصر أو مسجد، أو على الأقل أي شيء، محبرة أو خنجر أو معلق قرآن، لكي تتأكد من أن هذه الأشغال الفنية تحمل طابعاً موحداً، وأنه ليس من شك يمكن أن يقع في أصالتها، وليس من علاقة واضحة مع أي فن آخر، إن أصالة الفن الإسلامي واضحة تماماً ».[2]

من ثم تتحدد لدينا ماهية الفن الإسلامية من خلال تحديدها لسماته كما نراه في رؤيتنا المعرفية، وكذلك من خلال تمييز الصفات التي تميز نعت (الإسلامي)، ومن ثم يتكون لدينا نسق بنائي خاص هو الفن الإسلامي.

## الجمال الإسلامي والجمال الغربي

لفت القرآن الكريم الأنظار إلى ناحيتي الجمال والزينة في المخلوقات إلى جانب مالها من النفع فقال:" والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون... والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون"، **سورة النحل** - الآيات 5، 6، 8، -

و أشار القرآن الكريم إلى الوسيلة التي توصل الإنسان المؤمن إلى تهذيب الخلق حتى يصل إلى حب الخير، و تهذيب الذوق حتى يصل إلى حب الجمال، فأقسم ببعض المظاهر الطبيعية لندرك ما فيها من أسرار الجمال الفني، من تكوين محكم وتنسيق بديع وألوان رائعة، وتناسب وتقابل، وتكرار و ظلال وأضواء دون أن يحرم القرآن على أتباعه متع الحياة المشروعة: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا وأشربوا، ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون" **سورة الأعراف** - الآية - 32.

وفي الحديث الشريف عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى نعمه على عبده"، صحيح البخاري.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً - قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس" صحيح البخاري - الحديثان الشريفان السالفان يشكلان معاً

---

[1] الفن الإسلامي - التزام وابتداع ، صالح أحمد الشامي طبعة أولى دار القلم - دمشق ص 37.

[2] حضارة العرب - جوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر. (المقدمة عن جمالية الفن العربي، د. عفيف بهنسي ص 69

وحدة معرفية متكاملة والجزء المشترك بينهما هو التأكيد على جمال الخالق وحبه للجمال، أي قول الرسول "إن الله جميل يحب الجمال" ويعمل هذا الجزء بمنزلة الجسر الرابط بين الحديثين، وبينهما طباق بنائي في كيفية السياق، فالفعل المستخدم في الحديث الأول هو فعل المحبة والرؤية، أي فعل حض وأمر ترغيب، بينما الفعل المستخدم في الحديث الثاني هو فعل منفي أي هو نهي عن فعل "لا يدخل الجنة من الكبر" وهو ترهيب وتبغيض وفي الفعل المكروة المقيت وهو الكبر.

الجمال كصفة إلهية، مسارها الحب وإظهار النعمة على العبد ومقتلها الكبر أي تسفيه الحق واحتقار الناس.

في هذين الحديثين الشريفين إجمال لرؤية الإسلام المعرفية للجمال من حيث إنَّه فعل عبادي يقصد به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهو الجميل الذي يحب الجمال، وهو نقيض موضوعي للكبر والغرور والخيلاء فالله تعالى يقول: "ولا تصعر خدك للناس"، أي ثمة نهي واضح وصريح عن الكبر والخيلاء، وإذا كنا قد عرضنا فيما سلف ما نرى أنه الرؤية المعرفية الكامنة خلف النسق الجمالي الذي دعوناه بالفن الإسلامي، فإن هذين الحديثين الشريفين يؤكدان ما عرضناه.

ويقول الأستاذ محمد قطب: ""والفن الإسلامي موكل "بالجمال" ... يتتبعه في كل شيء، وكل معنى في هذا الوجود"".

""الجمال بمعناه الواسع الذي لا يقف عند حدود الحس، ولا ينحصر في قالب محدود"" [1].

وقضية التمييز بين رؤية الفن الغربي والفن الإسلامي من خلال الحياتية، كسمة أساسية في الأخير، تتجلى في عدم التفرقة بين الحرفة والفن، وقضية التأمل وكيف أنه يختلف عن مجرد المشاهدة.

""فبينما تهدف المشاهدة إلى رؤية الجمال وتحديده في الشكل، يهدف التأمل إلى معرفة الجمال فيما وراء الشكل، وقضية الفصل الزائف بين الفن والحرفة بوصفها ظاهرة أوروبية حديثة وارتبطت بالنهضة وتفرعاتها[2]."

وإذا عدنا إلى تاريخ الفن، نجد أن "الجمال المثالي" كان يعد إحدى مميزات الفن الإغريقي وأحد أهدافه، وقد عد الإنسان نواة الطبيعية ومقياس كل شيء

[1] منهج الفن الإسلامي ـ محمد قطب ـ مطبعة دار الشروق بالقاهرة ص ـ 177 ـ
[2] المرجع السابق.

بل مقياس المقاييسن وتخيل الإغريق آلهتهم في صور إنسانية، اعترافاً منهم بسمو الإنسان وتمجيداً للوجود الإنساني وحياة الآلهة فيه، وإيماناً منهم بأن كل روح إنسانية تضم في جوانحها طابعاً إلهياً، وقد عبروا عن مختلف الأفكار والمعاني بصور آلهة لها شكل إنساني، واهتموا بإبداع التماثيل الجميلة لألهتهم، وصبوا فيها أسمى وأجمل المعاني الإنسانية وأنبل التعابير، مما جعل لآلهتهم تبدو في صور المثل الأعلى والجمال المثالي الإنساني.[1]

إن الفن عند الإنسان المبدع هو تعبير عن موهبة كامنة فيه يتحدد مسارها من خلال المحصلات الثقافية والمفاهيم الأخلاقية السائدة في مجتمعه، حيث يعبر هذا الفنان من خلال موهبته عن تلك المحصلات والمفاهيم كما هي، فيكتسب فنّه تأثيراً لشفافية روحية أو معاني سامية أو يدعو إلى أشكال مادية بحتة، أو يبوح بهواجس نفسية متفجرة فيه، فتقوم موهبته بصبغ تلك المفاهيم وترجمتها إلى أشكال ولوحات ومنحوتات، أصبحت في نظر معاصريها ترمز إلى الفن والجمال.

لكن الفن في علاقته مع الدين إنما يترجم طابعه الروحي المستمر والذي يحدد إطاراً أساسياً لشخصيته، إن الواقع الروحي في الفن أمر لا يمكن نكرانه، وأي تفسير مادي للفن يجعل هذا الفن مجرد زخرفة أو مجرد عمل آلي منقول[2]

---

(1) علم الجمال والنقد – بشير زهدي- منشورات جامعة دمشق –1999-2000 ص 279

(2) الفن الإسلامي - د. عفيف بهنسي - دار طلاس - 1986 - دمشق ص - 88-

إبريق نحاس أصفر مطروق ومطعم بالفضة والنحاس، هيرات (القرن السادس الهجري)، عن
«وحدة الفن الإسلامي / مجموعة نهاد سعيد»

ويؤكد الأستاذ بشير زهدي على المعنى العميق في الفن التجريد الإسلامي ولغته الروحية فيقول :" إن استعراض الفنون الإسلامية بأنواعها يدل على أن الزخارف وبأسلوبها التجريدي لها دلاتها الروحية، فهي ماثلة في كل مظاهر الحياة الفنية، وتدل الفنون التطبيقية على أنه صار صناعة ذات قيمة فنية وجمالية، وأن انفعالنا بما تحمله هذه الأشياء النفعية من زخارف يرجع إلى المشاعر الروحية العميقة المترسبة في نفوسنا عبر العصور".[1]

لقد قام الفكر الإسلامي على تمجيد المثل الأعلى المطلق "الله" الخالق الحي القيوم الذي لا يموت، وليس على تمجيد الأنا المخلوق الضعيف العاجز المقهور بالموت، وعلى الرغم من كونه جزءاً صغيراً في رحاب الكون، لكنه يحمل في أعماقه معاني المطلق، كما يقول الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي:

**وتحسب أنك جرم صغير وفيك إنطوى العالم الأكبر**

إن الذهن الصافي لدى الإنسان المؤمن يدعو إلى السعي المستمر للاتصال بالمطلق، ولقد بدأ هذا السعي بالذكر والتكرار، فبدا مظهراً من مظاهر الوجد الصوفي، وقد تكون هذه نقطة التحول العظيم عند الفنانيين المسلمين، أو نقطة انطلاق للفن الإسلامي نحو إيجاد صيغ لأشكال مختلفة متكررة، والتكرار هذا يتماثل وحال الذاكرين لله ... ـ، وكذلك التكرار في الرسوم والأشكال المختلفة ،فيتمثل التعبير الملازم للتفكير الروحاني والصوفي في الأشكال التجريدية أو في الرموز التشبيهية، وفي ذلك يقول بريون "إن الفنان، في كل مرة يسعى فيها إلى التعبير عما هو روحاني أو إلهي، كان يسعى إلى التجريد، وهذا ما تم بالفعل بالنسبة للفن الإسلامي بصورة عامة، حيث كان المتعالي يُعبر عنه دائماً بصورة غير تشبيهية، وكذلك الأمر بالنسبة للفن اليوناني البدائي حيث كان مبعث إقامة الأصنام التجريدية، الشعور بأن تشخيص الآلهة فيه استخفاف بقيمتها."[2]

إن أهمية البيان العربي والمتجسد بالقرآن الكريم ودوره المحوري لفهم الفنون الإسلامية يتطلب منا دراسة أوسع وفهماً أعمق ورؤية معرفية جمالية فنية جديدة، يقول أرنست كونل بهذا الصدد: "ولا شك أن وحدة العقيدة الدينية في العالم الإسلامي أقوى تأثيراً منها في العالم المسيحي، ذلك لأن الإسلام قضى

---

[1] علم الجمال والنقد ـ بشير زهدي ـ الطبعة الرابعة ـ منشورات جامعة دمشق ـ 1999-2000 ـ ص165.

[2] الفن الإسلامي ـ د. عفيف بهنسي ـ دار طلاس ـ 1986 ـ ص ـ 108 ـ

على الفوارق الناشئة من اختلاف الأجناس والتقاليد، وعني بتوجيه شؤون الفكر والآداب والعادات في مختلف البلاد، وكان الأمر بنشر القرآن بلغته الأصلية العربية وحدها، مما جعل لها وللتعاليم القرآنية سيادة مطلقة في العالم الإسلامي كله، فكان ذلك في مقدمة العوامل التي أدت إلى ابتداع كثير من الفنون وازدهارها..."[1].

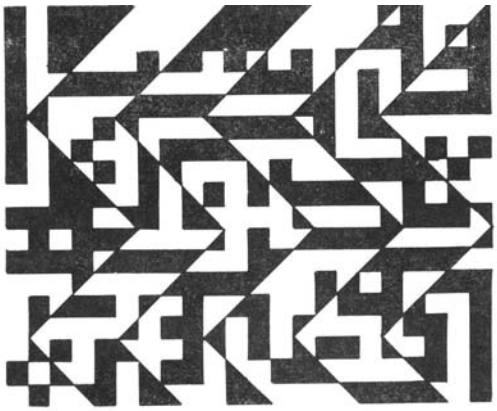

رسم تجريدي حديث عن عمل الطلاب فرع الخط بمدرسة الفنون الجميلة في الدار البيضاء، المغرب، وهو مستوحى من الخط العربي الكوفي، وقد عرت هذه اللوحة تحت شعار (في سبيل تطوير الخط العربي) وهكذا نلاحظ أثر الخط العربي في الزخرفة الكلاسيكية الإسلامية وقابليته للفن التجريدي.

ولعل الفن الإسلامي بمناخه وألوانه وفلسفته، كان أكثر جاذبية عند الفنانيين من أمثال: دولا كروا وماتيس وبول كلي وغيرهم، ممن رأوا في الشرق الشمس واللون والخط المنساب والمواضيع الغريبة، كل ذلك دون أن يكون من شأنهم البحث الفلسفي والجمالي، ولكنهم قدموا الدليل على مقدرة الفن العربي والإسلامي على التطور السريع تطوراً متمشياً مع العصر ومع مفهوم الفن الحديث، كما أنهم وضعوا الفنان العربي والإسلامي أمام مسؤولياته في العودة إلى تراثه وتقاليده وفنه لكي يقيم عليها أساليب جديدة معاصرة".[2]

رسم تجريدي حديث من عمل طلاب فرع الخط بمدرسة الفنون الجميلة في الدار البيضاء، المغرب، وهو مستوحى من الخط العربي الكوفي، وقد عرضت هذه اللوحة تحت شعار (في سبيل تطوير الخط العربي).
وهكذا نلاحظ أثر الخط العربي في الزخرفة الكلاسيكية الإسلامية وقابليته للفن التجريدي

[1] الفن الإسلامي ـ أرنست كونل ـ ترجمة د. أحمد موسى ـ ط1966/ء ص11.
[2] الفن الإسلامي ـ د عفيف بهنسي ـ المصدر السابق ص 23.

يقول دوجاردان بهذا الصدد: "إن تفاؤلي لا يسمح لي أن أتوقع أشياء كثيرة من حضارتنا ولكن إذا أمكن للثقة أن تمتد، فإني لا أستطيع أن أتصور ذلك إلا من خلال الريح التي ستهب علينا من الشرق" ويقصد بذلك الفن الإسلامي.

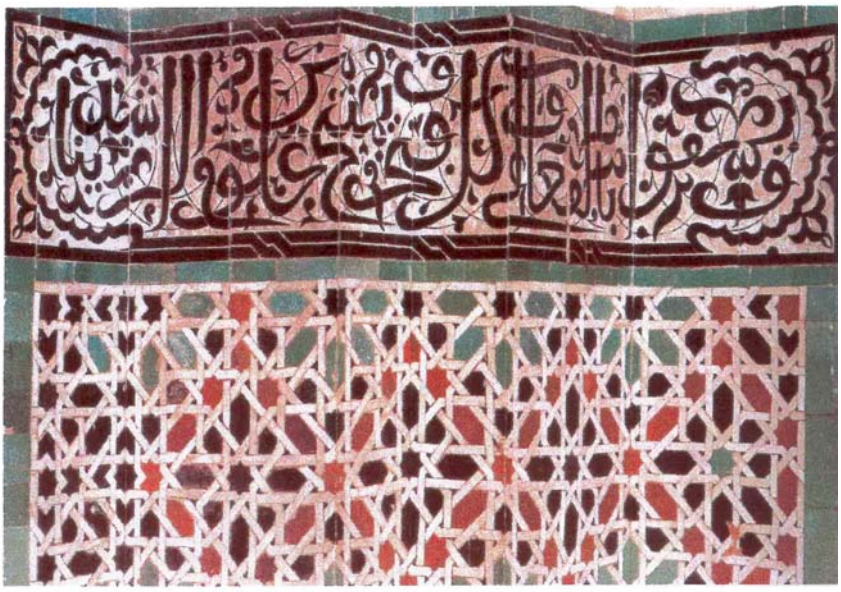

عمل فني رائع غني بالمفردات الشكلية ـ الخط العربي والرسوم المجردة النباتية والرسوم المجردة الهندسية، بانسجام جميل بينهم، والتتابع والاسترسال بين الخطوط الهندسية القاسية على الخطوط المنحنية اللينة، ومن محيط الشكل إلى داخله، وبتقنية القيشاني والمشقف، وهو نموذج للعمل الفني الإسلامي المتمثل في كل أنحاء العالم الإسلامي.

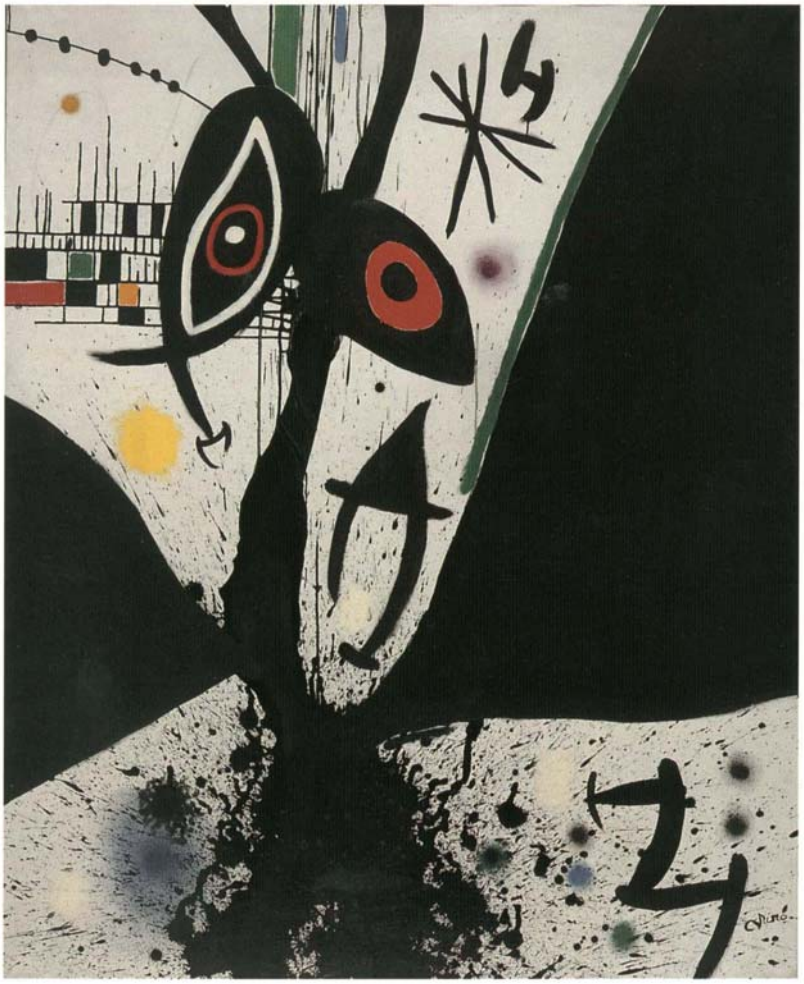

**لوحة للفنان جوان ميرو ـ عصافير الكهف ـ زيت على قماش ـ قياس 165×131 سم ـ متحف طهران.**

## الخاتمة:

إن هذه الدراسة تدفعنا لرؤية الجمال ظاهراً وباطناً وأصولاً ومحاسن، والحث على التفكر والمحبة النابعة من رؤية الجمال و الاستمتاع به، ومن أهم الأفكار في هذا الصدد ما قاله داوود الأنطاكي في كتاب التذكرة. حول طبيعة الحسن، وأن الحسن ما استنطق اللسان بالتسبيح - فهذه المقولة المعرفية البليغة تجسيد رائع لحياتية الفن وتركيبته وارتباطه بالعبادة.

إن الفنان المسلم بنتيجة تلقائية للتربية الإسلامية التي يسهم فيها البيت والمجتمع المسلم، له تصور كامل عن الكون والإنسان والحياة، يدري غايته وهدفه، فهو واضح في كل شيء ينبع وضوحه من وضوح منهجه، فهو بذلك يستجيب لحاجات المجتمع الضرورية، ويحقق مفهوم جمالية الإبداع الإلهي لأنه يدرك أنه ليس مبدعاً للجمال ولا خالقاً له بل إنه يطوع المادة الخام للنظام الإلهي العام، ويعكس بديع صنع الله.

إن الإسلام بنى الإنسان فدفعه باتجاه التوازن بين الروح والمادة وجنبه من منزلقات التي وقع فيها الآخرون، فباتت حساسيته الخاصة ازديادا في رقي العواطف و ارتفاعاً في السلوك مما يجعل الحياة أشد دفئاً وأكثر تقبلاً ويضفي جمالاً على الأداء.

فالفن الخالد الأصيل هو ما هز وجدانك وحرك عاطفتك وأزكى تجربتك، إن هو إلا نبضات قلب ومشاعر وقطوف دانية تزهر معها الحياة.

## المراجع

1ـ محمود بسيوني ـ رحلة الإبداع ـ القاهرة ـ درا المعارف 1990 ـص 177-

2ـ الفيروز بادي ـ القاموس المحيط جـ 4ـ ط2 سنة 1992 ص ـ 258ـ

3ـ قاموس وبستر

4ـ لويز لمياء الفاروقي ـ الفن الإسلامي أم الفن المسلم . عن كتاب ـ مفاهيم الجمال ـ أسامة القفاش المعهد العالي للفكر الإسلامي ـ القاهرة 1996.

8ـ أسامة القفاش ـ مفاهيم الجمال ـ المعهد العالي للفكر الإسلامي 1981. القاهرة ـ ص 9ـ

9ـ صحيح بخاري

11ـ الأستاذ محمد قطب ـ كتاب منهج الفن الإسلامي ـ طبعة دار الشروق ـ القاهرة ـ

12ـ د. عفيف بهنسي ـ كتاب الفن الإسلامي ـ دار طلاس 1986.

13ـ الأستاذ صالح أحمد الشامي ـ الفن الإسلامي ـ دار القلم دمشق 1990.

14ـ المعجم المفهرس ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الشعب 1378 هـ.

15ـ وفاء إبراهيم ـ فلسفة فن التصوير الإسلامي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996 ـ سلسلة التنوير مهرجان القراءة للجميع.

16ـ التوحيد والفن ـ إسماعيل راجي الفاروقي عن مجلة "المسلم المعاصر" بحث نشر في الإعداد 23-24-25 ـ عام 1400هـ.

17ـ حضارة العرب ـ غوستاف ولوبون ـ ترجمة عادل زعيتر. مؤخوذ عن مقدمة كتاب جمالية الفن العربي ـ د. عفيف بهنسي ص 69.

18ـ الفن والتأمل ـ تيتوس بوركات [عن كتاب مفاهيم الجمال ـ أسامة القفاش..]

19ـ الفن الإسلامي ـ أرنست كونل ـ ترجمة د. أحمد موسى ط2 ـ 1966ـ

20- جمالية الفن العربي - د. عفيف بهنسي ص - 105 - عالم المعرفة - الكويت عام 1399 هـ.

21- الإسلام بين الشرق والغرب - علي عزت بيجوفيتش - مجلة النور الكويتية- مؤسسة بافاريا ط1 - 1994- ص 225.

22- طريقة جديدة في التفكير - أدجار موران - مجلة رسالة اليونسكو - عدد فبراير 1996 - ص 10-14.

23-علم الجمال والنقد - بشير زهدي - الطبعة الرابعة - منشورات جامعة دمشق - 1999 - 2000 - ص165-

24- تاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعي - دار الفكر - دمشق 1973.

## المصطلحات والمراجع الأجنبية

| | |
|---|---|
| قاموس وبستر الفني | **- WEBSTER – DICTIONARY ART -** |
| فن | **- ART -** |
| حرفي ـ صانع | **- Artisan-** |
| فنان ـ صانع | **- Artist-** |
| مثالي | **- Ideal** |

**- Foucault – M- Naissance de la clinique – p- u-f-1963-**

**-Chomsky – n- the year 501 – south end press – Boston- 1993-**

**- Payer – L - M edicine & Cultur – Henry Hott & Company – New york-**

**- Faiences d'azur – Michel barry – imprimerie national- Paris – 1995-**

**- LA PEINTURE ARABE – RICHARD – ETTINGHAUSEN- 1977 by Editions d'ART.Albert skira – Geneve .**

**-L'OBJET D'ART – N. 328 – MENSUEL- OCTOBRE- 98- QUETIGNY- 21803-France.**

**- DoSSIER DEL'ART-N.71-NOVEMBRE – 2000-QUETIGNY – 21803-France.**

.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2002/2/19